الأدب الرقمي: بين وهم التعدد وأحادية النموذج

Digital Literature: Between the Illusion of Multiplicity and Monogamy

د. عمر حاتم *

جامعة البليدة2 (الجزائر) hatemomar530@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/02/18 **تاريخ القبول:2020/10/13** **تاريخ النشر: 2021/06/01**

ملخص:

يبحث المقال في كيفية نشأة العنصر الأدبي وتشكّله ونموّه داخل الوسيط الإلكتروني، وانتقاله من الكاووس والتشتت إلى اللملمة والنمذجة في شيء من المد والجزر التواصليين اللذين يكادان لا يعرفان التوقّف. ويبدو أن الأدب مقرونا بالوسيط الإلكتروني يمنح عيّنة بهذا الذي نحن بصدد التنظير له، فمادة الأدب الرقمي دسمة طازجة للجدّة التي فيها، وهي متعدّد متشعّبة بقدر تشظي العوالم الافتراضية التي تحيى منها وفيها ومن خلالها، فضلا عن أنها تستعين بكل ما هو موجود في التراث الأدبي لتزيد عليه ما توفره الشبكة المعلوماتية من معطيات وأرضيات بقدرة غير محدودة على الشحن والتداول وفي كل وقت، ورجاؤنا من خلال هذا المقال هو الوصول إلى اكتشاف النموذج الذي يسير وفقه الأدب الرقمي من خلال ما يفرضه عليه الوسيط الإلكتروني ومن خلال ما يفرضه ذات الأدب على ذات الوسيط.

الكلمات المفتاحية:الوسيط الالكتروني; الأدب الرقمي; النموذج; التعدد; اليوتوبيا; الواقع; السلطة.

***ABSTRACT* :**

This article seeks to define the way in which the literary element is born and the way in which it is formed and developed inside the electronic medium and its way of being transformed from chaos to an almost perpetual reorganization, through the sequence of fluids and reflective communication which ensures the continuity of the works. And it seems that literature mixing with electronic support will be the ideal sample for our theorization, given that digital literature offers a succulent and fresh material considering its novelty and its plural and multiple dimension related to the heterogeneous virtual worlds from which it comes , moreover it marries the literary heritage and the platforms and the data of the net in such a way that the works are memorized, share infinitely and accessible at any time and to everyone. And our wish through this article is the discovery of the model according to which digital literature works through what is imposed on it by digital means as well as through what this same literature imposes on the same means.

Keywords*:Support électronique; littérature numérique; modèle; pluralisme; utopie; réalité; pouvoir.*

1. مقدمة:

يجب أيبدو أنّ حركية عالم اليوم تحاول أن تجد لها توازنا بين حضارة الأيقونة وحضارة الكتابة، بين الرسوم والعوالم الافتراضية وعالم الكتب والصحف، بين السطح والانسياب والعمق والتوتّر، وهذا على المستويين الإبداعي والتحليلي. والتواصل في معانيه ورهاناته المعرفية والحضارية، وكيفية تلقيه داخل مجتمع المعطيات الحاسوبية؛ طبيعته أنواعه، ومكوناته: لغة خاصة تمارس على الناس طقوس الإغراء لِتسوّق منتجاتها عنوة أو بنعومة داخل الأنساق التي تصنعها سلطته –أي التواصل– مستعينا في ذلك على شبقيته وقدرته التعبوية وحتى التضليلية، فهو مفتوح

* المؤلف المراسل

مباشرة على المشاعر والغرائز؛ فالتواصل يمكن أن يتخذ أي شكل يحقّق غرضه أو أغراضه، وهذا الذي سيحاول مقالنا البحث في آلياته على مستوى النصوص الأدبية الرقمية، وذلك من منظور المؤلفين والنصوص والمتلقين والوسائط الإلكترونية على السواء، داخل رحم سلطة التواصل ذاته في زمن ومكان ترسمهما الشبكة الحاسوبية ومواقعها.

2. في الوسائط الجديدة:

يعرف العالم تطورا مذهلا في جميع مناحي الحياة السياسة والاجتماعية والاقتصادية،هذا التطور المتسارع الذي يزداد وقعه يوما بعد يوم راجع إلى التطور الكبير الذي يعرفه العلم والتكنولوجيا، فبفضل هذا الأخير أصبح العالم كالقرية الصغيرة، حيث انتشرت الوسائط التكنولوجية المتعددة التي استطاعت بفضل امتلاكها العلم والابتكار من أن تحدث استعمارا بشكل آخر على البلدان النامية.

مما لاش كفيه أن العالم شهد ويشهد تطورا تكنولوجيا كبيرا دفع بالكثيرين إلى استيراد آخر ما وصل إليه هذا التطور، ويعمل الفرد على استيراد التكنولوجيا كعامل ديناميكي وحاسم لتعجيل الكثير من العمليات والنقل السريع للأفكار، ممايستوجب السرعة في اتخاذ القرار والدقة في التنفيذ، وهذا ما يعتمد بصورة أساسية على نقل المعلومات بصورة سريعة وسليمة بين مختلف الأشخاص والمستويات.

1.2 التكنولوجيا:

إنّ التكنولوجيا عموما كظاهرة قديمة قدم الإنسان والشيء الحديث فيها هواللفظ فقط، وكلمة تكنولوجيا كلمة معربة ولاأصل لها في كتب اللغة العربية وقواميسها، وتقابلها كلمة (تقنية)، والتي يمكننا أن نطلقها على كلمة (تكنولوجيا) وهي مكونة من مقطعين هما: (**technique**) والذي معناه (الطريق) أو(الوسيلة) و(**logie**)التي تعني العلم، ويكون معنى الكلمة كلها "علم الوسيلة" والذي بها يستطيع الإنسان أن يبلغ مراده،[1]وقد عرّفت الموسوعة الفلسفية السوفيتية التكنولوجيا بأنها: "مجموع الآلات والآليات والأنظمة ووسائل السيطرة والتجميع والتخزين ونقل الطاقة والمعلومات،كل تلك التي تخلق لأغراض الإنتاج والبحث والحرب".[2]

وهذا التعريف حصر التكنولوجيا في محض آلات ووسائل، على عكس بعض التعاريف التي وسّعت مفهوم التكنولوجيا إلى مجموع معارف وتطبيقات علمية، على غرار التعريف الذي قدمه يعقوب فهد العبيد في كتابه التنمية التكنولوجية، حيث يقول أن: "التكنولوجيا تطبيق المعرفة، أي معرفة الوسيلة حيث أن العلم هو معرفة العلة والسبب"[3] كما قيل أنها:"التطبيق العملي للاكتشافات العلمية والاختراعات وخاصة في مجال الصناعة التي يتمخض عنها البحث العلمي".[4]

وقدأخد مفهوم التكنولوجيا أبعادا أخرى، حيث عرفت بأنها:"المجموع الكلي للمعرفة المكتسبة والخبرة المستخدمة في إنتاج السلع والخدمات، في نطاق نظام اجتماعي اقتصادي معين، من أجل إشباع حاجة المجتمع

التي تحدد بدورها كم ونوع السلعة/الخدمة".[5] حيث أعطى هذا التعريف مدلولا سوسيولوجيا للتكنولوجيا، من خلال ربطها بالنظام الاقتصادي والاجتماعي الرأسمالي.

كما أخذت التكنولوجيا بعدا أنثروبولوجيا، وهذا ما يظهر في التعريف الآتي: "التكنولوجيا مساق ثقافي رئيسي في حياة الناس كالفلسفة والدين والتنظيم الاجتماعي والنظم السياسية، وبالمعن بالواسع جميع هذه الأشياء هي نواح تكنولوجية".[6]

2.2 الاتصال:

تناولت الكثير من الدراسات موضوع الاتصال منذ ظهور هذا المصطلح إلى الآن، وسنحاول تقديم أهم التعاريف التي أحاطت بمفهوم الاتصال بوصفه إقامة رابط صلة بين طرفين أو أكثر. حيث يرجع أصل كلمة(اتصال) **communication** إلى الكلمة اللاتينية **communis** معناها **common** :أي (مشترك) أو(عام) وبالتالي فإن "الاتصال كعملية يتضمن المشاركة أو التفاهم حول شيء أوفكرة أو إحساس أو اتجاه أو سلوك أو فعل ما".[7]

ويعرف الاتصال اصطلاحا على أنه: " نقل الأفكار والمشاعر والمعلومات والتأثيرات بالإضافة للتوزيع والتفاوض"[8]، كما يعرفه كارل هوفلند على أنه: "العملية التي يقدم خلالها القائم بالاتصال منبهات (عادة رموز لغوية)،لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين(مستقبل يرسائل).[9]

ويرى الباحث جورج لندبرج أن كلمة اتصال "تستخدم لتشير إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز، وتكون الرموز عبارة عن حركات أو صور أو لغة أو شيء آخر،تعمل كمنبه للسلوك أي أن الاتصال هو نوع من التفاعل الذي يحدث بواسطة الرموز."[10] وتتفق كل هذه التعاريف في اعتبار الاتصال عملية دينامية تشتمل على تأثير وتأثر متبادلين، ما يظهر من خلال تفاعل مرسل ومستقبل الرسالة ضمن ما يعرف بدورة التخاطب.

عرف العالم خلال العقدين الأخيرين تطورات مذهلة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حيث شهد تسجيل أعظم الاختراعات في التاريخ البشري، فضلا عن عمليات تطوير وتحسين أداء تلك الاختراعات والتي سارت بسرعة مذهلة حتى بلغت منتهى الدقة والإتقان، بشكل جعل العالم كله في شكل مكان واحد مصغّر. وصارت حيازة المعلومات في عصرنا الحالي هو مقياس القوة لتطور أي أمة من ما يسمى بالنخب الرقمية.

ظهر في وسط كل هذه الثورة المعرفية والقنية مصطلح الوسائط الجديدة **new media** أو الوسائط المتعددة **multi-media** وجعلها تلاقي اهتماما بالغا لأنها تدمج كافة عناصر الصوت والصورة والنص

والفيديو بشكل متكامل يحقق الفاعلية في الاتصال والإبداع. وشهدت الوسائط الجديدة تطورا مشهودا صاحب التطورات الكبيرة في الأنظمة الحاسوبية بحيث أصبح بالإمكان الجمع بين وسائل التكنولوجيا العديدة بالاعتماد على برمجية حاسوبية مفردة يستطيع الفرد استخدامها في أي وقت وفي أي مكان.

ويأتي تعريف الوسائط الجديدة بأنها "استخدام الكمبيوتر في مزج وتقديم النصوص المكتوبة والرسومات الخطية والثابتة والمتحركة والصوت في نظام مترابط ومتكامل وربط هذه الوسائط ببعضه بحيث يمكن للمتعلم أن ينتقل ويتحرك ويبحر ويتفاعل بنفسه مما يجعل العملية الاتصالية ككثر إثارة وفاعلية".[11]

وفي تعريف آخر تعتبر الوسائط الجديدة: "برنامج كمبيوتر ذات نسيج متداخل ومتكامل من مجموعة من العناصر مثل الصوت والصور الثابتة أو المتحركة ومقاطع الفيديو والتسجيلات الصوتية التي تتفاعل مع بعضه البعض ومع المستخدم في إطار من التوازن لتقديم رسالة معينة".[12] كما تعرف الوسائط الجديدة على أنها "برمجيات تمزج بين النص والصوت والموسيقى والصور الثابتة والمتحركة والرسوم الثابتة والمتحركة. وهي تكنولوجيا عرض وتخزين واسترجاع وبث المعلومات آليا باستخدام قدرات الكمبيوتر التفاعلية".[13]

نستخلص من كل ذلك الوسائط الجديدة هي منتج تكنولوجي يتم عرضه والتفاعل معه من خلال الحواسيب، يعمل على التكامل بين عناصر النص والصوت والرسوم والصور ولقطات الفيديو بشكل يحقق أهداف التعلم ويراعي خصائص وفردية كل شخص.

تشترك برامج الوسائط الجديدة في مجموعة من الخصائص، وهذه الخصائص تحدد الملامح المميزة لها ويجب مراعاة خصائص يجب مراعاتها في تصميم هذه الوسائط وهي على النحو التالي:[14]

1-التنوع: حيث توفر بيئة متنوعة ما بين الصور المتحركة والثابت والموسيقى والفيديو مما يتيح العديد من الخيارات أمام المستخدمين.

2-التكاملية: فمن المهم التكامل بين الوسائط المعروضة فهي لابد أن توضع بطريقة صحيحة من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

3-التفاعلية: وتعني قدرة المستخدم على التحكم في مكونات الوسائط الجديدة المختلفة تفعلا نشطا وإيجابيا. ويقصد بالتفاعل الفعل ورد الفعل بين المستخدم وما يعرضه عليه الكمبيوتر.

4-المرونة: تتسم برامج الوسائط الجديدة بأنها قابلة لإعادة التشكيل بطرائق مختلفة، لكي تناسب حاجات كل مستخدم.

5-التزامن: ويقصد به مناسبة توقيت تداخل العناصر المختلفة لبرنامج الوسائط الجديدة لتناسب سرعة العرض وقدرات الفرد، بمعنى وجود تزامن بين المثيرات المختلفة التي تظهر على شاشة الكمبيوتر.

6-تقديم التغذية الرجعية (**feed back**): يعتبر رجع الصدى عاملا رئيسيا في زيادة دافعية الفرد للاتصال، فهو يساعد على تصحيح استجابته والوصول للتفاعل بسرعة.

تعتبر هذه الخصائص ضرورية لضمان سيرورة ونجاح الوسائط الجديدة، فهي الأساس الذي يجب أن يتم تحديد احترافية هذه الوسائط ونجاعتها من عدمه.

3. الأدب الرقمي: الأصول والآفاق

الأدب الرقمي مصطلح أوجدته التكنولوجيا بتطوراتها المتسارعة نحو مزيد من التشظي أو التقييد، فالأدب قديم قدم البشرية، لكن الرقمية المقرونة به في موقعنا هذا يحيل على (السيبرنطيقا) المعلومـاتية -إن صح هذا التعريب- وما يدور في فلكها من إعلام وآلات وتواصل وحواسيب وأدمغة وعوالم رقمية وافتراضية، ولابد لنا قبل أن نلج إلى تعريف الأدب الرقمي كما عرفه أهله، أن يكون لنا تعريف نبدأ به: الأدب الرقمي هو كل منجز إبداعي يستخدم الحاسوب والشبكة لإنتاج الأشكال الأدبية على اختلافها؛ أي دخول وخروج وروابط من عالم الأدب إلى عوالم أخرى أدبية أو دون ذلك، من خلال الوسيط الإلكتروني، وذلك في مقابل الأشكال الأدبية الكلاسيكية والتي لا يمكن ربطها ببعضها أو الزيادة والتعديل فيها على أرضيتها الأصلية (الورقية في الغالب).

إنّ الإنتاج الإلكتروني يقترح صفة المشاركة والتفاعل والتعليق في ذات الوقت وعلى نفس أرضية العمل الأصلي (الإلكترونية)؛ أي مشاركة القارئ في العملية الإبداعية، وربما قد يشارك في تشكيل النص الإبداعي أكثر من الأديب من خلال النصوص المشتركة. وهو أيضا الأدب الذي يختصر المسافات بين المجالات المتعددّة فيقترض من المجالات الأخرى: فقد يقترض الأدب من الإعلام المكتوب ومن الأفلام ومن الموسيقى وغير ذلك لإنتاج صورة ذهنية تجسّد العمل الإبداعي في كلّيته وتنقله لنا عبر الشبكة من خلال الحواسيب، وهو كذلك الأدب الذي يختصر المسافات بين القراء والمبدعين بما يمنح من إمكانية التعليق المباشر على العمل الإبداعي مهما بعدت المسافة بين الأديب والمتلقي، لنرى كلّ يوم درجة تخصيب (الحدث الرقمي) للأعمال الأدبية.

إنَ الأدبَ الرقميَّ ينطبع بتحولٍ سياقي ولغويّ وبنيويّ يمس أركان الظاهرة الأدبية ومن أهم ما يأتي عليه هو مفهوم الوسيط الذي به تحدث الظاهرة الأدبية، ففي الأدب الرقميّ تصبح الوسائط التكنولوجية العلة النشوئية والحيّز الإبداعيّ للتجربة الأدبية وتضطلع بدور وظيفيّ بالنسبة لخالق النص على نحو تفاعليّ؛ فهذه الوسائط بما

هي وسائل حديثة تضفي على النص بنائية معينة وبمقتضى ذلك تحدّد له شكلاً مخصوصاً وإيقاعاً زمنياً فريداً فرادة زمن السرعة والسيولة وكلٌ في فلك التفاعل يسبحون.[15]

يدخل الأدب الرقمي في رأي البعض ضمن الأنواع الأدبية التي ظهرت فيما بعد الحداثة، وهو نوع من الأدب يتشكل في متون مرئية ومنتشرة عبر العالم بصفة مباشرة ويغلب عليه الطابع الارتجالي والعفوي والمتسرّع وهذا لارتباطه بالصيغة التي ينتشر ضمنها، لذلك يأتي التلقي في هذه الحالة ليعبر عن قلق القارئ أو المتلقي حيال هذا النوع من الأدب الذي يستجيب للراهن واليومي. إنّ التلقي هنا تحوّل مما كان عليه من دونية وتغييب، إلى حضور وفعّالية وفق منظورات بصرية وتقنية.

والنص الرقمي على حد تعبير مجموعة من رواد المجال: لا يعبر عن معانيه بالألفاظ فقط، بل يفسح المجال أمام إمكانيات متعددة من التعبير مثل الجداول والأصوات والصور والرموز.

ويعرف سعيد يقطين الأدب الرقمي بأنّه "مجموع الإبداعات التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي".[16] وفي السياق نفسه تعرفه فاطمة البريكي بأنّه "الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء، ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل، أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص".[17]

من خلال هذه التعريفات نستشفّ العناصر التي يتركّب منها النظام المعلوماتي أو الحاسوبي أو الرقمي؛ أي الوسيط الإلكتروني، المبدع، المتلقي، والنص مطعّما بمجموع العوالم الافتراضية.

1.3بنية الأدب الرقمي وخصائصه:

من هذه التعريفات أعلاه يمكن الانتهاء إلى أنّ النص الرقمي نص شجري؛ معنى ذلك أنه لا يمكننا فهمه إلا بقراءته من بدايته إلى نهايته مع كلّ ما يصاحبه، وكلّ ما يتيحه الانتقال من طريق روابطه التي يحتويها، كبعض الكلمات المفاتيح، وبعض العناوين وغير ذلك ممّا يشكّل بؤرة نشاط تسمح بالانتقال من صفحة إلى أخرى، وبالتالي يمكن قراءته قراءة هرمية أو بطريقة التوازي، فهو نص متشعب أو متفرع أو مترابط...

والنص الرقمي أيضا نص تشاركي إن صحّ قول ذلك: إذ يستطيع المتصفح الإلكتروني عكس المتصفّح الورقي، إدخال ما شاء من المعلومات والتعليقات ضمن المواقع أو المنتديات لتتوالى بعد ذلك عملية الأخذ والعطاء داخل

المساحة التي يوفّرها الموقع أو المنتدى، فلا تكاد بعد ذلك تتوقّف عملية التبادل الذي منه تتناسل العملية الإبداعية التفاعلية. ويملك نظام التفاعل المعلوماتي حضورا وهيمنة على المشهد الحضاري والثقافي الإنساني المعاصر فضلاً عن الأدبي منه. فهو نظام متضمن لصيغ التواصل والقراءة، والإثارة والاستجابة بوساطة الأجهزة الرقمية الحاسوبية. فبعد أن مرّت الثقافة والمعرفة بتحوّل للأنساق الشفهية إلى المدونات الورقية، شهدت الساحة المعرفية والأدبية تحولاً ملحوظاً من المدونات الورقية إلى المدونات الرقمية، مما أحدث تحولاً كبيراً على مستوى الكتابة والتلقي[18]. ليؤسس ذلك لصرح جديد من المثاقفة والتواصل مع المتلقي عبر العوالم الرقمية الافتراضية التي تختزل المسافات وتتجاوز العوائق التي كانت مهيمنة في عالم الكتابة الورقي؛ كالقيود والحدود والضوابط التي تفرضها دور الرقابة لكل ما يكتب وينشر هذا من جهة، لكن وعلى جهة أخرى أسّس هذا العالم الجديد بآلاته الجديدة لحدود وضوابط ورقابة من نوع آخر قد لا يسعنا موضعنا هذا للحديث عنها.

ومن هذا الذي سلف ذكره نستطيع أن نضع تعريفا للأدب الرقمي جامعا: بوصفه الأدب الذي يوظّف معطيـات الإعلام الآلي ووسـائط التواصل الإلكترونية، من خلال ما يتيحه نظام (النص المتفرّع أو المتعالي أو المتعالق- **Hypertexte**) في التقديم لأجناس أدبية جديدة أو إعادة صياغة القديمة منها في شكل جديد يجمع بين الأدبية والإلكترونية. ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتّى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني؛ أي من خلال شاشات الحاسوب أو اللوحات الإلكترونية أو الهواتف الذكيّة. ويكتسي هذا النوع من الإبداع الأدبي صفة التفاعلية بناءً على المساحة الكبيرة -فيما يبدو- والتي يمنحها للمتلقّي، والتي تعادل، أو ربما لتزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص، مما يعني قدرة المتلقي على التفاعل مع النص بأي صورة من صور التفاعل الممكنة شاء، والتي تتيحها الوسائط الإلكترونية ومواقع الشبكة ومرونة العملية التخييلية.

أخيرا يمكن المقارنة بين الأدب الكلاسيكي الذي يملك أشكالا كثيرةً من العرض لمادته تشترك في الأرضية الشفهية أو الورقية على اختلاف المضامين والمقاصد فيه، والأدب التفاعلي الذي يحذو سبيلا آخر في تعامله مع المادة الأدبية، التي يبقى العنصر المهيمن فيها هو الرابط (**lienle**) ويتجلى هذا الأخير من خلال مركزيّة الصورة وسيطرة منطقها المتمثّل في كلّ من الأيقونات والإشارات والرموز كما أسلفنا، فضلا عن مجموع الأزرار والخطوط والألوان والرسوم (والفيديوهات) وكل هذه الأنساق من العلامات في النص التفاعلي غايتها الإحالة على عقد أخرى داخل عالم الشبكة، مما أنتج شراهة في استهلاك الصورة والتعامل بها وفيها ومعها بين المبدعين(المتلقين) والمتلقين(المبدعين) ليشكّل ذلك سننا ثقافيا مشتركا بينهم لا يستطيعون فطاما حياله.

2.3 المؤلف الرقميّ والكاتب التقليديّ:

مما يجدر بنا أيضاً تناوله في سياق الأدب الرقمي نلفي مفهوم المؤلف الرقميّ الذي يشكلُ محوراً من محاور هذا النوع نمن الآداب، لماَ يضطلع به في إذكاء التجربة الأدبية بما يتملّكه من ثقافة معلوماتية وتقنية رقمية ويوظّف هذا جميعه مع مجموعة من المواد(اللغة، الصوت، الصورة، الوثائق، لغة البرامج المعلوماتية) ليبتدعَ جواً نصياً مرصّعاً بالتخييل والتحويل يبلغ ذؤابته في تفاعلات تأويلية مع قراء من مختلف الطبقات والتخصصات والكفاءات والتوجّهات؛ تلك التفاعلات التي تشكل محوراً ثانياً آخر لا يتحقّق المؤلف الرقمي كمحور أول إلا بهِ. و ليس هذا التفاعل إلا تداخل وتقاطعٌ بين النسق الثقافي للمؤلف مع النسق الثقافي للقراء عبر سنَنَ المقروء المترابط مما ينتج فيضاً في الدلالات وفرطاً في الإحالات التناصية.[19] إنَ هذا المنوال الذي يتحرك به الأدب الرقمي هو ما أدى ببعض المنظرين إلى اعتبار النص الرقميّ بمثابة أفضل أنموذج لفهم النظريات ما بعد الحداثية التي تقول بموت المؤلف كما بسطَ ذلك رولان بارت في مصنفه هسهسة اللغة؛[20] ممّا حداَ بالناقد جورج لاندووو **G.LANDOW** في سياق النص المترابط **HYPERTEXTE** إلى القول بموت المؤلف كذلك في النص الرقميّ. لكن الهدف الذي اتخذه بارت في قوله بموت المؤلف من حيثُ هو الإعلاء من شأن النصّ وتفجيره من الداخل دون مقصدية المؤلف وحضوره المتسلّط كما في النص المطبوع، يختلف بنحوٍ ما عن الهدف التي انتصبَ في خلدِ لاندوو من حيث هو إيجاد وعيّ جديد متعدّد وذلك بتوسّل إضعاف الحضور الرقابي للمؤلف الرقميّ وفتح الحريّة لدى القراء لكيّ تكون فاعليتهم خلاقة في صناعة نصّ غني بالدلالات والمعاني في النص الرقميّ. لكن ما يجمعهما هو تقويض مركزية المؤلف بوصفه صاحب الحقيقة المطلقة و الراعي الرسميّ للمعنى وإنتاجه.[21]

3.3القارئ الرقمي وتفسيراته التفريعية:

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول،أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول،أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول،أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول،أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول،أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول،أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

من الأهمية بمكان أيضاً أن نأتيَ إلى تناول مفهوم القارئ في عالم الأدب الرقمي مقارنة بالقارئ في عالم الأدب المطبوع؛ ولا شكَ أن القارئ الرقمي لابد أن يمتلك ناصية الوسائل التي يحسن استعمالها المؤلف الرقمي كذلك ونعني بهذا توافق القارئ والمؤلف الرقميين من حيثُ حيازتُهما للثقافة الرقمية نفسها، فضلاً أنَ القارئ في صلته بالمقروء الرقميّ يتمتّع بحرية المرور في النص الرقمي من أي طريق شاء، ولديه جواز سفر يخوّل له أنْ يبدأ وينتهي من أي مقطعٍ يريدُ وهكذا يكون في مقدوره أن يلجَ النص الرقمي من أبواب شتى ومنافذ عدة ويخترقه من بدايات متغايرة باعتباره مؤلفاً مشاركاً في عملية خلق النص، ذلك أن من طبيعة النص الرقميّ أن تجعل القراءة مغامرة تجديد مستمرة وتوليف الروابط بشكل بديع باعتماد الروابط النصية وانفتاحه على مداخل ومخارج كثيرة لفتق النص على دلالات لم تطرأ حتى على مخيلة المؤلف الأول.[22]

4. النص المترابط بين انفلات المعاني وانفتاح الدلالات:

تكمن ميزة النص المترابط في الدور الذي يضطلع بهِ القارئ والامتيازات التي يتمتع بها، مما يجعلُ هذا النص لا يستمدُ معناه وحيويته إلا بفضل فاعلية القراءة وتراسل القراءات. إنَ هذا النص ما هو عموما إلا وثيقة رقمية من عقدٍ من المعلومات قابلة لأن يتصل بعضها ببعض بواسطة روابط. و تبعاً لذلك فتحديداته تتعدّد بحسب الاستعمالات التي يوظفها فيها، لأنَ المفهوم يُتّخذُ في الأدبيات المختلفة.[23]وعلى ضوء ذلك يتمكّن القارئ أن يبرزَ لنا مع كل قراءة نصاً مترابطاً في بينونة مع النص السابق. وما هذا الرابط lien إلا تقنية في تنشيط النص المترابط وهو عبارة عن ربط بين معلومتين على نحوٍ منتجٍ للمعاني، والاختلاف في تخيّر الروابط يعني تعيينا للعلائق المترابطة، وبالتالي ستحدد سيرورة المعنى التي ينتجها. وينجر عن هذا أن يغدو النص الرقمي حالةً بنائية وسيرورة تشكيل تجدّد نفسها باستمرار، وذلك يجعل منه أصيلا original بفضل التفاعل المضاعف الذي ينفلت من قبضة الثبات ومركزية المعنى. إنَ هذاَ التغاير الخلاق الذي يتمتع به النص الرقميّ يعودُ للأدوار المبتكرة التي يتمتّع بها القارئ الرقميّ وهو لا يشكّل قطيعة جذرية مع النص المطبوع بل ينطوي على استمرارية ابتكارية من حيثُ علاقة القارئ بالمقروء بوصفها علاقة تفسيرات وإنتاجية نسبية، حيثُ ينزاح المعنى إلى معاني والدلالة إلى دلالات، لكن هذه المرة على نحوٍ أكثر حيوية و حرية. وبناء على ما أوردناه، فإن النص الرقمي، إذا ما استعنّا بلغة بارت في وصف النصوص، ينبني على شبكات كثيرة متفاعلة وكوكبة من الدوال من غير نسقٍ للمدلولات يكفّها عن الانزياح والانسياب الدلاّلي، بإمكاننا أن نلجه من مداخل مختلفة مع تعذر أن ينفردَ مدخلٌ منها بالرياسة والأهمية، وتعدد أنظمة المعنى فيه غير قابل للانغلاق البتة.

4.1 الأدب الرقمي بين تعدد الاستعمال وأحادية النموذج المعلوماتي:

انطلاقـا من "التناوب بين الخيـال المنْتِج، والخيـال المعِيدِ للإنتـاج"[24]؛تعبّر سلطة المعلوماتية عن توجّهاتها باستعمال آلية تخييلية قاعدية وهي مستويَيْ الترميز الأول الذي يوافق اليوتوبية، والثاني الذي يوافق الإيديولوجية، فوفق هذا النموذج "كل شيء يتمّ كما لو أن المتَخَيَّل الاجتماعي لا يستطيع أن يمارس وظيفته غريبة الأطوار (في إنتاج الواقع) إلاّ من خلال اليوتوبية، ووظيفته في مضاعفة الواقع إلا من خلال الإيديولوجية"[25]؛ أي أنّ خيال الجماعة لا يستطيع تأويل نظام الزمان والمكان إلاّ من خلال علاقاتٍ خطية أوّلاً، والتي تربط الأشياء ببعضها. ثم يأتي الدّور على تأويل نظام القوى ثانيا، من خلال العلاقات الرأسية – إن صحّ قول ذلك– والتي يطوّرها الناس مع ما يعيق سيرهم الذي يتصورونه خطيا داخل الزمان والمكان، أي

داخل واقعهم/أو الواقع[26] وذلك بدمج العوالم الافتراضية ضمن هذا الواقع، مع "اعتبار الواقع كميات من القوة في حالة توتّر"[27]، وهذا ما سيدفع بفوكو إلى القول "بأن الواقع من إنتاج السلطة وبأن القوة والسلطة إستراتيجية فعّالة مهمّتها أن تنتج الواقع غليانه وتعدده"،[28] لتصبح السلطة هنا وظيفة اجتماعية تعطي معنًى للواقع في حَرَكِيَّتِه باتجاه السيطرة والإخضاع، "فوراء إنتاج المعاني قوّة تهدف إلى الإخضاع والسيطرة"،[29] وهما أوّل ما يتجلى في الخطابات الرقمية وغيرها، لكن الذي يهمنا هنا في هذا المقال؛ هو العلاقة بين السيطرة – مِزَاج السلطة– والتواصل –بوصفها مِزَاجًا للخطاب– داخل الأدب الرقمي، وهذه العلاقة بين السيطرة والتواصل، تخبرنا أن المجتمعات تشتغل وفق معايير وقواعد، ورمزية اجتماعية تتطلب بدورها سلطة تواصلية في الخطاب الأدبي الرقميي، ليكون ذلك مدخلا إلى الإيديولوجية من طريق التواصل رغم منتهاه السلطوي.

إنّ الأدب الرقمي يصبح هنا إيديولوجيا يُضمر ويُظهر سوء نيةٍ "عندما يكون في خدمة سيرورة السلطة وإضفاء المشروعية"؛[30] السلطة في صورتها المكيافيلية بالطبع والمرتبطة بما يسمى بالنخبة الرقمية؛ أي التي تحوز وسائل التواصل الإلكترونية على مستوى الآلات والتقنيات والبرمجيات. وللتقليل من هذا النزوع الإيديولوجي نحو الصراع على الحقيقة المطلقة وفرض ما نراه نموذجا طبيعيا للمعيشة، يمكن اتخاذ المقارنة منهجا (إيديولوجيا) —إن صح قول ذلك– لأن "العدول عن المقارنة هو عدول عن التجريد والتحديد"[31] وبالتالي عدولٌ عن الرمزي الحواري، والذي يُؤدّي إلى تحوّل الناس إلى الصراع سلاحًا سَفْكًا للدماء.

واليوتوبي في الأدب الرقمي هو أنساق التواصل التي تشكّلها النصوص والأزرار والخطوط والألوان ومجموع التعليقات والفيديوهات والرسوم المتناثرة هنا وهناك، أمّا الإيديولوجي فهو إستراتيجيات التأويل في ذات الأدب الرقمي، والتي تحيك تاريخا على المقاس، مستندة في ذلك إلى معطيات ما تَنتقيهِ أو ما تطمسه من الواقع باعتماد الفسحة التي تمنحها أطراف المعلوماتية المتضاربة داخل النموذج الذي يفرضه النظام الرقمي الثنائي (واحد صفر) وخوارزمياته، والمعتمد في برمجة الوسائط الإلكترونية.

إنّ عوالم الشبكة الافتراضية تمنح الناس فسحة تفترض في معظمها قارئا مُتوّهماً التفاعل مع النصوص على اختلاف أنواعها –عكس القارئ الورقي السلبي– يناقش أُطروحاتها، يزيد وينقص ويحوّر فيها كما يشاء، في حين أنه قد يكون بصدد التعليق عن أخبار أو إبداعات دون تحليل أو تمحيص، أو هو في بعض الأحيان إنّما يقدّم أحكاما وأراء وانطباعات كما يحدث في عمليات سبر الآراء التسويقية، في نوعٍ من العلامات التي تشكّل سَنَنًا ثقافيا مشتركا بين أطراف الإبداع، والتي تضمن التواصل بين الطرفين ضمن نوافذ تطلّ على آفاق تأويلية مشتركة، وضمن نسق ذوقي منمذج قالبه داخل مجتمع الاستهلاك المفرط.

إنّ الذي يمكن استخلاصه من كل هذا؛ هو أن التواصل في صبغته الرقمية المعلوماتية عابر للأجناس الأدبية. والتواصل أيضا والمتكرر عبر الإبداعات على اختلافها قد يجعل من قصديه المؤلّف بؤرة ضيقة لا نرى من خلالها إلا النزر القليل من جمالية الأدب المقترح. ثم بعد ذلك قد يفرض تكرير طرائق التواصل نوعا من العرف المنمذج سلفا ممّا قد يؤدي إلى تقوقع الأدب الرقمي في قوالب جاهزة. لكن ورغم تكرار النماذج التواصلية إلاّ أن تشظي عملية التواصل ذاته في النصوص الأدبية الرقمية كفيل بخلق المتعة والفائدة، وباستطاعته أن يمنح فسحة كبيرة للمرسل إليه، ليشارك وبكثافة في إبداع النص الرقمي للعديد من المرات ودائما بنفس المتعة والفائدة. لكن هذا التشظي قد يؤدي بالمبدعين (المستقبلين) والمستقبلين (المبدعين) – والذين يجمعهم الأدب الرقمي عبر الوسائط الإلكترونية– إلى شيء من الاستقطاب في التوجّه والرأي ثم بعد ذلك قد يحل محل الاستقطاب شيء من الطغيان في ذات الرأي والتوجه في الأدب وفي الحياة في عمومها عندما يأتي الدور على تضخم الأنوات وتصارع النرجسيات.

5. خاتمة:

بعد أن تحدّثنا عن الأدب وعلاقته بالوسيط الإلكتروني واشتغاله في العوالم الافتراضية للشبكة، وبعدما أثمرت هذه العلاقة نوعاً جديداً من النصوص يجمع بين فنية الأدب وعلمية التكنولوجيا وتشظي المعلوماتية، يمكن للتواصل أن يلج أي شيء يملك شكله، وذلك في شيء من شكلنة للعالم عموما والرقمي منه خاصة، لكن العملية التواصلية تبقى رغم تشظيها مؤطّرة داخل الأدب الرقمي من خلال النظام الحاسوبي والوسائط الإلكترونية والأنساق المعلوماتية المعمول بها. ليأتي الدور على الإبداع والتلقي المؤولين للنصوص الرقمية في تخصيب الدلالة وفتح أفاق القراءة داخل ذات النصوص ليتحقق نماؤها بشكل مستمر، ورغم ما ذكرناه من خصائص تميز الأدب الرقمي عن غيره من الظواهر اللغوية والإبداعية إلاّ أنّه يبقى مقيّدا بثنائية أونطولوجية؛ هي النظام المحدّد سلفا رغم تشظي تاريخ صنعه، والتفلّت الذي تمنحه فسحة النظام ذاته، لكنه يبقى تفلتا داخل أطر النظام إلاّ أن يصنع التفلّت نظاما آخر خارج النظام الأوّل.

6. قائمة المراجع:

8. الهوامش:

1 –ينظر: عبد الباسط محمد عبد الوهاب، استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، المكتب الجامعي الحديث،2005، ص16.

2-محمدالزعبي،التغيرالاجتماعي، دارالطليعة،القاهرة،ط1، *1998* ،ص*28*

3-المرجع نفسه، ص 35.

4-يعقوبفهدالعبيد،التنميةالتكنولوجية،الدارالدولية،القاهرة،*1989* ،ص*19*

5-محمدالزعبي،التغيرالاجتماعي، ص 83.

6-المرجع نفسه، ص 85.

7-عبدالباسطمحمدعبدالوهاب، استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، ص 28.

8-حسنعمادمكاوي،ليلىحسين،الاتصالونظرياتهالمعاصرة : الدارالمصريةاللبنانية،،القاهرة، ط4، 2003، ص 72

9-جيهانأحمدرشتي،الأسسالعلميةلنظرياتالإعلام : دارالفكر،العربي، القاهرةط *8* ،1978،ص*85* ،88.

10-حسنعمادمكاوي،ليلىحسين،الاتصالونظرياتهالمعاصرة، ص24.

11-وليد سالم الحلفاوي، مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلوماتية، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2006، ص 175

12-حسن رضا النجار، تكنولوجيا الاتصال المفهوم والتطور، أبحاث المؤتمر الدولي الأول، جامعة البحرين 2009، ص17-18.

13-عباس مصطفى صادق الاعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار لشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص141.

14-حسن رضا النجار، تكنولوجيا الاتصال المفهوم والتطور، ص26-27.

15 زهور كرام: الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية و تأملات مفاهيمية، رؤية للنشر و التزيع ، الطبعة الأولى 2009، ص 34.

16-سعيد، يقطين (2005)من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ص9 و10.

17-فاطمة، البريكي (2006)مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص20.

18 - يُنظرسعيد، يقطين، المرجع السابق.

19 - زهور اكرام: الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية و تأملات مفاهيمية، رؤية للنشر و التزيع ، الطبعة الأولى 2009، ص 35.

20-ROLAND BAR THES : la mort de l'auteur in : le bruissement de la langue, paris seuil , 1984, page 63-67.

21- زهور كرام: الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، 2009، ص36.

22- المرجع نفسه، ص 40-41.

23- سعيديقطين،منالنصإلىالنصالمترابط، مدخلإلىجمالياتالابداعالتفاعلي، ص 130.

24- بول، ريكور، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، تر: محمد، برادة وحسان، بورقية، دار الأمان ط1، الرباط، 2004، ص 272.

25- المرجع نفسه ، ص272 و273.

26- والواقع يبقى مرتبطا بتصوّر الناس له أو رؤيتهم له كما في فيزياء الكم (*la physique quantique*) فمهما بلغ التصاق الناس بواقعهم إلاّ أن ثمّة مسافة قد تكون الفاصلة بين نفس الواقع وإدراكهم له، لذلك فضّلت التدليل على الواقع

بثنائية واقعهم؛ أي المدرك/ والواقع القائم فعلا أو المحتمل، فضلا عن أن هناك من يقول بعدم وجود الواقع أصلاً أو هناك من الذين يرون فيما يدركه الناس الواقع في مطلقه.

27- عبد السلام، بنعبد العالي (2000) أسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا، دار توبقال، ط2، الدار البيضاء، ص 148.

28- المرجع نفسه، ص 148.

29- المرجع نفسه، ص 147.

30- المرجع نفسه، ص 267.

31- عبد الله، العروي (2001) مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء/بيروت، ص 353.